المحاضرة الثالثة

مســـاواة المـــرأة

هل يمكن أن تكون المساواة ظلما؟!

تقوم هناك ضجات بين حين وحين آخر في ديار الإسلام، مفادها أن المرأة مظلومة، وتشير أصابع الاتهام إلى الإسلام بصورة أو بأخرى، ونريد أن نعرف هل أن هذه الضجات نابعة من الألم، أم أنها مفتعلة، ونريد أن نعرف هل هذه الأصابع صادقة في اتجاهها أم هي صادرة عن أحول ؟.

إن أحد الحولان قد ذهب إلى المطار، وفي اللحظات الأخيرة قام بتقبيل العتال – الحمال – وأعطي أخاه الذي جاء لتوديعه درهماً. بينما قام أحد الحولان الآخرين بمد فراشه للنوم ولكنه نام بجانبه.

إن حول الخلقة لا عيب فيه ولكن حول العقل هو المصيبة. فما هي قيمة المرأة في الجاهلية وما هي قيمتها في الإسلام يا ترى ؟؟!!

في الجاهلية كانت إذا ولدت الزوجة بنتاً كانت هذه البنت مصدر تشاؤم، أما في الإسلام فهي مصدر بركة وخير، فعن عائشة مرفوعا بلفظ(من بركة المرأة على زوجها تيسير مهرها وأن تبكر بالإناث) (كشف الخفاء ج: 2 ص:379)

أما في الجاهلية فقد كانت مصدر عار وشؤم ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل:59). انظر إلى أول الآية (بُشِّر) فهي بشارة. وانظر بعد ذلك إلى التصرف الجاهلي مع هذه البشارة..

﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَت ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) (التكوير:9)

أما عن أجر التربية فيقول المصطفى ﷺ ((ما من مسلم له بنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة)) (ابن ماجة/الأدب/3670).((ولا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات)) (الطبراني وأحمد/19922مسند عقبة بن عامر)

أما في اختيار الزوج فان الأب كان يزوج ابنته دون استشارتها فجاء الإسلام يقول:((لا تزوج البكر حتى تستأذن ولا تزوج الثيب حتى تستأ مر))(البخاري/النكاح/5136)،

فإذا تزوجت المرأة كانت من سقط المتاع في الجاهلية، حتى أنها كانت تؤخذ بدل الدية، أو يزوجها أخوها لأحد الرجال بلا مهر مقابل أن يتزوج أخت هذا الرجل بلا مهر، فجاء

الإسلام ليقول ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾ (النساء:4) أي تكون مهورهن هدية بلا مقابل.

وفي معرض المعاشرة بالحسنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأ هلي))(الترمذي مناقب3895).

. فإذا أصبحت ألام عجوزاً (فالجنة تحت أقدام الأمهات)([1]).

ولا ننسى انه عقد جمع كنسي في القرن السابع للميلاد واختلفوا: هل للمرأة روح أم لا؟ وإذا كان لها روح فهل هي كروح الإنسان؟ وإذا كانت كروح الإنسان، فإنها وبالإجماع ليست كروح الرجل !!! ثم أصدروا بياناً ينددون فيه بالمرأة باعتبارها شراً لا بد منه وأنها مصدر الآثام والخطايا ....الخ .....(المرأة بين الفقه والقانون للسباعي)

وعندما تذكروا أن مريم (عليها السلام) هي امرأة أصدروا قراراً استثنائياً لأجلها. لكن القرآن الكريم يقول ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْض﴾ (آل عمران:195)، و الآيات في ذلك كثيرة بعد ذلك نقول:

هل هناك حول فكري أفظع من هذا الحول الذي يتهم فيه الإسلام بظلم المرأة؟؟!! فما مثلهم إلا كمثل القاضي الذي أراد أن يضرب السارق فركل المسروق منه. فما بال المرأة في الإسلام في هذه الأيام تنادي وتطالب بالمساواة ؟

...انه التقليد الأعمى للمرأة لبلاد الغرب. وطالما انه التقليد الأعمى، فلنترك المرأة هنا – لأنها تقلد ولا تعي ما تقول([2])– ولنذهب إلى منبع المشكلة هناك في الغرب ولنسأل ما هي الأسباب، أنها حدثت عند ظهور الرأسمالية والحروب العالمية الأولى والثانية.فما الذي حدث؟:

[1] -احمد/15110/مسند معاوية بن جاهمة، النسائي/الجهاد/3104، بلفظ (هل لك من أم ؟ قال:نعم، قال: فالزمها فان الجنة عند رجلها) –

[2] جاء بعض العلماء إلى قرية، فحثهم فيها على أن يرسلوا أحد شبابهم لطلب العلم. وكان كلامه مخلصا ومؤثرا. ولكن لم يستجب لطلبه أحد. ثم سمعوا بفوائد طلب العلم من بعض المتنفذين. هنا جمعوا أمرهم على التبرع لإرسال شاب لطلب العلم. وطبعا فقد اختير لذلك ابن المختار، فذهب في طريق حتى وصل إلى مزرعة فيها خبيث، فسأله: ما هذا الذي تبيعونه فقال: عنب فقال الشاب في نفسه:هذا مشابه لما أطلب. فحاول شراء العنب بدل العلم، فلما سمع الخبيث هذه الجهالة قال له: خذ هذا الجراب (مصنوع من كامل جلد شاة) ودع أهل بلدك يضعوه في عنقك بكل حرص. وكلما قلت كلمة رددوها وراءك. فلما وضعوه في عنقه لم يدر بخلد أحد أن الكيس مملوء بالنحل والدبور والزلقط . وعندما أحس بالألم صار ينادي آه بعد آه وهم يرددون وراءه الآهات ظانين أنه العلم. فما أفلت منهم إلا بعد جهد جهيد . وهذا نوع من التقليد الأعمى .

لقد قامت الحرب العالمية الأولى...ثم ما لبثت أن قامت الحرب العالمية الثانية؛ حروب طويلة استنفذت كل شيء؛ كان القتل فيها للرجال و لكن المأساة على النساء.. إذ ذهب فيها أكثر من عشر ملايين قتيل، وأكثر من هذا العدد جرحى ومعوقين وأسرى حروب هدهدتهم السجون، وأكثر منهم رجال سئموا الحياة ... فمن الذي كان يعيل الأطفال في نفس فترتي تلك الحربين الضروسين ؟

لقد خرجت المرأة للسعي لأجل الرزق لنفسها، ولمن يلوذ بها من طفل وعجوز، وحين وصلت المرأة إلى الرأسمالي لتعمل عنده وجدته يعاملها ببشاعة وظلم واستغلال، فهي تعمل لديه لساعات أطول مما كان يعمل الرجل، ولكنها بنفس الوقت تتقاضى من الأجر أقل مما يتقاضاه الرجل.

وأمام هذه الضغوطات والتمييز والاستغلال؛ فقد وقفت المرأة تنادي بالمساواة، وقامت المظاهرات النسائية وعمت الاضطرابات وسقطت الضحايا منهن لأجل المساواة نعم المساواة في كل شيء...فطالما أنها تعمل مثل الرجل، فلماذا لا تأخذ من الأجر مثله بل ولماذا لا تتولى من المناصب مثل الرجل ...؟!

وبالتدريج فقد سارت الأمور رويداً رويداً في هذا الطريق.

فلقد سُمح للمرأة في البدء بأن تَنتخب، ولكن لم يسمح لها بأن تُنتخب، ثم صارت المرأة تنتخب النواب الذين يكتبون على يافطاتهم عبارة (نريد للمرأة أن تنتخب وتنتخب) وحين وصلوا إلى البرلمان–أو بر الأمان–أوفوا بوعودهم.

نعم لقد أصبحت المرأة الآن تعمل مثل الرجل من حيث عدد الساعات، وتتقاضى مثل الرجل من حيث الأجر، وتتولى في المناصب الحكومية مثل الرجل فهذه هي المساواة في الغرب ....فهل حصل للمرأة في بلاد الإسلام من الظلم والجور مثل ما حصل لها في بلاد الغرب، ؟!اللهم لا.

وهنا تحضرني نكتة:وهي أن رجلاً أهبل – ضعيف العقل رغم أنه سليم الجسم – قالت له زوجته هاهو موسم الحصاد قد أتى فاذهب إلى دار فلان، فأنهم جماعة يتقون الله، فساعدهم في الحصاد لتحصل على القمح، ولكن إياك أن تقبل من الأجر إلا كيلا وأكثر _ والكيل عبارة عن كيس يتسع لحوالي 120 كغم. هؤلاء الجماعة المحترمون استقبلوه وأجلسوه ووافقوه على ما طلب، وقالوا له سنعطيك بطيحة من القمح _ والبطيحة أربعة أضعاف ما طلب حوالي 500 كغم – أتدرون ما كان جوابه...

إنه رفض أن يوافق إلا على كيل أو أكثر كما قالت له امرأته. وكلما حاولوا إقناعه بأن يأخذ البطيحة أصر على انه لن يقبل إلا كيلا أو أكثر.... هنا أذعن الناس لما أراد، ولما انتهى الحصاد أعطوه كيلا، ثم لما انصرف بعثوا إلى زوجته وأولاده بالباقي.

هذا هو حال بعض النساء في ديار الإسلام، تريد أن تكرمها فتأبى وتصر على انه لا بد من مساواتها بالرجل....

الإسلام يريدها أن تحضن ابنها لتجعله رجل المستقبل، يريدها كما قال ذلك الرجل العاقل:" تهز السرير بيمناها وتهز العروش باليد الأخرى"... الإسلام أمر الرجل أن يكد ويتعب ليأتي في آخر النهار للبيت بما يلزمه، بينما تقوم المرآة بأعظم عمل إلا وهو تربية الأجيال ليصبحوا رجال المستقبل.

والآن سنناقش قضية "عمل المرآة "من عدة أوجه:

الوجه الأول: تكوين المرآة وظروفها:

المرآة تعيش ثلاثة أطوار من حياتها، فالطور الأول منذ الولادة حتى سن الخامسة عشر، والطور الثاني من 15 – 60، والطور الثالث ما بعد الستين.

والسؤال الأول: هل تريد من المرآة أن تعمل قبل سن الخامسة عشر؟

والجواب:لا، وبكل تأكيد، لأنها لا تزال صغيرة لا طاقة لها بالعمل.

والسؤال الثاني: هل تريد من المرآة أن تعمل بعد سن الستين ؟

والجواب: أيضا لا، لأنها أصبحت في سن الشيخوخة.

إذاً: فالبحث في عمل المرأة هو ما بين 15–60 سنة فما هي حال المرأة ؟؟؟؟

المرأة هي أما حائض، وإما حامل، وإما نفساء، وإما مرضع.

فالمرأة غير المتزوجة تحيض في الغالب أسبوعاً من كل شهر فما هو الحيض؟!...إنه مرض مؤلم لا يعرف طعمه إلا من ذاقه.

كنت أقرأ على قرص الأسبرين العبارة التالية: للصداع والروماتيزم وآلام الأسنان وآلام العادة الشهرية. إذاً فالعادة الشهرية....لها آلام وصدق الله العظيم ﴿ وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذى﴾ –البقرة/222

وأمر بمخيلتي لأتصور قاضيا يقضي فإذا به يقف ثم يقعد ثم يقع في حيص بيص، ثم يسأله من حوله يا سيدي ما الذي جرى وما الذي أوقعك في الحرج؟ هل تريد أن نضرب اللص الذي أمامك..الخ..لا لقد جاءته العادة الشهرية، إن القاضي للأسف كان امرأة..وقد جاءت العادة الشهرية...

وهنا ألفت الانتباه إلى أن الإسلام قد أوصى بان((لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان)) (صحيح ابن حبان ج: 11 ص: 449) وقاس العلماء على ذلك أن لا يقضى القاضي وهو جائع أو عطشان...الخ وملخصه أن القاضي يجب أن يكون متفرغاً للقضاء بكل حواسه لا يشغله عن ذلك شيء لكي تتحقق العدالة.

فهل المرأة أهل لذلك ؟! نحن لا نتهمها ولكن نقدر ظروفها.

وما هي حال المرأة الحامل..أتعرفون ما هو الحمل ؟!

إن اقرب حال للحمل هي أن نضع على بطوننا قفة (وعاء) من الحجارة ثم نربطه على ظهورنا ونجلس به وننام به ونذهب به إلى الدوام، فهل من العدل أن يكلف صاحب الحمل(الجنين) بحمل آخر هو حمل الدوام؟!

ويجول خيالي بكتيبة مظليين تنزل على العدو وإذا بالهجوم يفشل، لا لكثرة المقاومة ...ولا لان الإنزال كان على حقل ألغام، ولا لأن الطائرة دُمرت، ولكن لأن الكتيبة كانت من الحوامل؛ فلما نزلن على الأرض أسقطن ما في بطونهن من أثر الصدمة بالأرض...؟!

فهل يحق لنا أن نرمي بالأمهات في هذا المجال ...

وهل أعصاب المرأة الحامل تتحمل هذه الويلات...؟

وأما المرأة المرضع فإن وضعها أصعب، فالثدي له علاقة بالطفل. حتى أنني سمعت عدة روايات بأن الطفل إذا بكى وكانت أمه بعيدة عنه، فإن الثدي في تلك الحالة يبدأ بإنزال الحليب..

فهل من مصلحة الولد، أم مصلحة الأم، أم مصلحة الأمة، أن تكون الأم في هذه الحالة ...ونطالبها بالعمل ...؟!

أما المرأة في حال المخاض فأمرها أعجب وأغرب..

ويجول في خاطري أن قائد جيش في حالة توتر حدودي بين بلاده والبلاد المجاورة...وإذا به يصرخ بأعلى صوته آه....أوه....آخ

ويجتمع حوله أركانه ومساعدوه ومعاونوه ماذا جرى يا سيدي ؟..هل نهجم على العدو ؟...هل نرسل الطائرات ؟..هل نقصف بالمدافع ؟... يقول القائد: كلا كلا...ولكن أحضروا لي سيارة الإسعاف فان المخاض قد جاءني..!!...

إن القائد العام..للأسف كان امرأة....!!

أيها الأخوة إن المشكلة ليست "مساواة" ولكنها ظروف المرأة،

فـالمرأة مخلوقـة لأمـور الطفـل، والـزوج مجهـز لأمـور الـدفاع عـن الطفـل وأمـه، وجلـب الأرزاق لـهما.

إن التكوين النفسي والجسمي والفطري للمرأة يختلف تماماً عن الرجل...

حتى الأطفال، فان الولد يلعب وهو صغير بكرة القدم، بينما تعكف الطفلة الصغيرة على دميتها التي تمثل الطفل الذي ستربيه عندما تكبر، وقد تجهز الطفلة بيتاً صغيراً وتعد فيه المقاعد الوهمية والصحون والقهوة الوهمية.

أيها الناس: إنها الفطرة وكلٌّ مُهيأ لما خلق له...

وأمرٌ آخر: وهو أن طالبات كليات الآداب قد تكون أكثر من الطلاب في أغلب الجامعات، ولكن طالبات كليات الهندسة والطب أقل من الطلاب بكثير في كل دول العالم...فلماذا يا ترى ؟..

هل لأن الإسلام منعهن من دخولها أم لأنها الفطرة ؟...

<u>الوجه الثاني ....توزيع الأدوار</u>

إن أي مفكر يريد أن يرتب أمور الزوجين لا بد أن يفترض أربعة افتراضات لا خامس لها.

فإما أن يخرج الرجل و المرأة إلى العمل ويتركا البيت.

وإما أن يجلس الرجل والمرأة في البيت ويتركا العمل.

وإما أن يجلس الرجل في البيت وتخرج المرأة للعمل.

وإما أن تجلس المرأة في البيت ويخرج الرجل للعمل.....

1- أما أن يخرج الرجل والمرأة إلى العمل ويتركا البيت، فمن للأطفال ؟!وقد يقول قائل نتركهم للخادمة.. وهذا جواب ساذج؛ إذ أننا نريد أن نحل مشكلة المرأة ككل، لا لنحل مشكلة امرأة على حساب امرأة أخرى.

ولعل قائل يقول نذهب بالأولاد إلى الحضانة وهذا غير منطقي – وقد عالجناه في محاضرة على هامش عام الطفل الدولي – إذ أن الولد لا يعود ينتمي إلى أمه، كما أنه لا يستغني عنها، كما أن الحاضنة لا يمكن أن تخلص لعشرين طفل ليسوا أولادها كما تخلص المرأة لطفلها الوحيد...الخ..

2- فأما الافتراض الثاني فإنه غير منطقي فلو جلس الرجل والمرأة كلاهما في البيت فمن الذي يجلب الطعام لهما...؟!.

3- وإما أن تخرج المرأة إلى العمل وتترك الرجل للبيت، فمن للطفل عند الحمل وللطفل إذا جاع.. وهل من الممكن تحويل الرجل إلى رجل يحيض ويحمل ويضع ...إرضاء لمدعي المساواة..!!

وإنني اذكر وأنا طالب في الجامعة أني قد ذهبت مع صديقي لنستأجر بيتاً، وهنا أدخلنا الدلال- السمسار- إلى بيت لكي نراه فإذا أعجبنا استأجرناه، ولقد أعجبني البيت تماماً لا لشيء سوى لأن فيه صاحب الدار رجل ليس عنده عائلة، ولكن صديقي كان أحذق مني، فلقد سأل صاحب الدار الذي كان منهمكاً في جلي الصحون وشطفها: هل يسكن معك في الدار أحد ؟

فقال: نعم إن زوجتي تسكن معي فسأله: وأين هي ؟

فقال: إنها تعمل في السفارة الأمريكية..وحين سأله ما هو مؤهلها العلمي فقال: ثالث إعدادي (تاسع) فسأله أيضاً، وأنت ما هو مؤهلك العلمي ؟ فقال: جامعي فخرجنا ولم نستأجر...

الله أكبر....الرجل جامعي ليس له وظيفة، والمرأة إعدادي وهي موظفة...أليست هي المساواة المقلوبة ؟

4- إذاً فلم يبق إلا الوجه الرابع وهو خروج الرجل إلى العمل وجلوس المرأة في البيت لترعى الأمل ...أمل الأمة بأطفالها ...رجال الغد ...وأمل المستقبل.

الوجه الثالث..كل من سار على الدرب وصل..

المساواة هي المساواة، ويجب أن لا نفرق بين الرجل والمرأة؛ فإذا سرنا بهذا الطريق فانه سيكون هناك وزير -امرأة - قائد - امرأة -ونائب امرأة - فإذا انتهت هذه الشواغر والوظائف بالنساء فلابد أن نكمل المشوار..فلا بد أن يكون حمال - عتال- امرأة، وماسح أحذية - امرأة -، خادم مطعم - امرأة -، وكانس شارع - امرأة...الخ...

فهل ترضى المرأة في بلادنا هذه الوظائف أم هل هذا هو المستقبل الذي تنشده فتاة القرن العشرين الذي أوشك على الانتهاء؟! أم هل سترى أنها ستوقف المساواة عند هذا الحد..

لا أيها السادة إن المركب إذا سار فإن المثل يقول:

كل من سار على الدرب وصل...

ولقد قرأت في مجلة أن طالبة بريطانية أنهت دراستها الجامعية ثم لم تجد إلا أن تكون كانسة شارع، فكانت كذلك..

فهل كانت ستصل إلى هذا المستوى لو كانت في بلاد الإسلام التي يحكمها الإسلام ؟!..اللهم لا.

الوجه الرابع ....هل هو حنان حقيقي أم خداع ؟

لو جئنا بعجوز شمطاء ووضعناها أمام اكبر متحمس ممن يدعون بمساواة المرأة وقلنا له: هل لديك وظيفة لهذه المرأة؟ لقال على الفور لا...لا ومليون لا...لماذا..؟

إنه لا يريد عملها لكونها امرأة؛ ولكن يريدها لجمالها لكي يبذل له بلا مقابل..باسم الحرية باسم الزمالة...باسم...وبلا اسم...

أنظر إلى بعض النصوص المنتشرة هنا وهناك..في كتب تعليم الطلاب الأشياء الأساسية...يقول المقطع.

هذه جدة رباب..تجلس قرب الدرج...تطعم الدجاج...وتنسج الصوف. الله أكبر جلوس الجدة (أم الأم) أو (أم الأب) قرب الدرج هكذا...قرب الدرج...أين مساواة المرأة....أين عيد الأم...؟

ارجعوا إلى الإسلام يا أمة الإسلام..واعترفوا له بالفضل والأحقية في التشريع والآداب والفضائل..وضعوا طاعته نصب أعينكم واعترفوا له بأنه هو الذي صان حقوق الرجل والمرأة معاً([3])

الإسلام هو الذي قال: " الجنة تحت أقدام الأمهات "، الإسلام هو الذي أجاب حين سئل من أحق الناس بحسن صحابتي، قال أمك قال: ثم أي قال: أمك قال ثم أي قال: أمك قال ثم أي قال: ثم أبوك (البخاري 5626).

الوجهة الخامسة ...مساواة ظالمة

إن بعض الناس يطلب من المرأة أن تعمل كالرجل طول النهار، ثم هو في المساء يطلب منها أن تصون البيت..وفي آخر الشهر يطلب منها (الراتب) المعاش كله، ويعتبره حقه الشخصي...وبعض الأزواج يشترط قبل زواجه أن يكون المعاش له فيقوم والدها فيقول: لا بل المعاش لي، والنهاية تكون إما بتقسيم المعاش، وإما بفسخ الخطبة....فهل هذه هي مساواة المرأة: حيث أصبحت المرأة بقرة حلوباً يتقاسم خيرها هذا وذاك.؟!..

([3]) في إحدى الجامعات كانت هناك قاعة بحث وهي: حصة يلتقي بها عدة أساتذة بالطلاب ليبحثوا مسألة معينة، وحينما جاءوا في إحدى الجلسات لبحث المساواة في الإسلام؛ بقي الأساتذة يشرحون ويعددون الحقوق التي أعطاها الإسلام للمرأة. وتعجب الطلاب كثيراً لكثرة ما أعطى الإسلام للمرأة حقوق حتى صاح أحد الطلاب قائلا: لقد ظلم الإسلام الرجل.هنا قام المحاضرون بإفهام الحضور بان الله سبحانه لم يظلم رجلاً ولا امرأة ...﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾آل عمران: 182)

بل وإن البقرة أحسن حالاً منها، لأن البقرة تعلف ويزال من تحتها الأوساخ؛ بينما المرأة تحلب لهم المعاش (الراتب) وتحلب لابنهم الحليب وتزيل هي أوساخهم..فمسكينة أنت أيتها المرأة التي أُكلتِ وأنت تفاخرين بالمساواة.

سادسا: بماذا يجب أن نطالب:؟

إن أهم الحقوق التي يجب أن تطالب بها فتاة الإسلام هو: فهم الإسلام فقها وتشريعا وعقيدة ونظاما وأخلاقا، بالصورة المشرقة الصادقة الصافية، لا كتلك الصورة التي رسمها لها أعداء الإسلام. وإن حضور صلاة الجمعة ضرورة شرعية لمن يمْكنها أن تحضرها بدون إ ضرر بأحد.

إن أحدهم يرسل بابنته إلى المدارس، وأخته إلى الجامعات، وعمته إلى الوظيفة، وخالته إلى المتجر، ولكنه لا يذهب معها إلى المسجد خوفا من الاختلاط؛ فأي حول بعد هذا الحول وأي خبل بعد هذا الخبل؟؟؟؟؟؟؟

ولو تفكرنا في أول خطوة مشت للإسلام لوجدناها خطى امرأة؛ ألا وهي خديجةﷺ حين ذهبت إلى ورقة بن نوفل. ولو سألنا عن أول شهيد في الإسلام لوجدنا أنها امرأة وهي سمية ﷺ .ولو قرأنا قصة نبي الله نوح عليه السلام لوجدنا أن دعوته لم تنجح، ولعل سبب ذلك إنما كان بسبب أنه إذا جاء رجل وقال لامرأته: أريد أن أسلم. فتقول له زوجته: لا تصدق نوحا فلقد ذهبت إلى زوجته، فأخبرتني أنه كاذب.هنا يتراجع عن الإسلام كل من يريد أن يدخل فيه.

ولدي شاهد آخر هو لوط عليه السلام والذي لم تؤمن معه زوجته﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم:10).

فالرجل الداعي يعيش في بلادنا أعرجا؛ وذلك لأن زوجته لا تشاركه الدعوة، بل لقد جعل أعداء الإسلام من بعضهن عدوا لأزواجهن من الدعاة إلى الله تعالى. ذلك لأن المرأة هي نصف المجتمع بل هي أكثر من ذلك.إذ من الذي يربي أطفالنا عند خروجنا وعند غيابنا وعند ذهابنا إلى ساحات الوغى وبعد استشهادنا.

نهاية المطاف

نعود لنقول هل نحتاج في ديار الإسلام إلى المناداة بالمساواة.!

إنني أتساءل هل المرأة في الغرب أسعد أم المرأة في نظام الإسلام ؟!

أقول: في نظام الإسلام ولا أقول في ديار الإسلام؛ لأن أغلب ديار الإسلام في هذه الأيام لا تطبق الإسلام وخاصة فيما يتعلق بالمرأة.

نعود فنقول هل المرأة في الغرب التي تأتي إلى بيتها في الساعة الرابعة مساءً؛ لتجد زوجها قد غادر المنزل قبل ذلك بساعتين ليعود إليها في الساعة الواحدة ليلاً أسعد، أم المرأة المسلمة...؟!

أم هل الزوج في الغرب سعيد حين يعود إلى زوجته وقد أصابها الاكتئاب من العمل، أو حين يجد قلبها قد مال إلى من يجلس معها طول اليوم في جو "الزمالة" في العمل !!!

أم هل الطفل في الغرب سعيد حين يعرف له أكثر من أم !!

أم هل المجتمع في الغرب والشرق سعيد؛ لأن فيه عاطلين عن العمل؛ علماً أن حل مشكلتهم تكون بشيء واحد: ألا وهو:

أن تجلس المرأة في البيت لأولادها هنا يبدأ كل العاطلين بوجود فرصة العمل.....

إلى هنا نكون قد أوضحنا – فيما أظن – أن مساواة المرأة تكون بالمساواة في النظرة والكرامة وتقدير التكوين والظروف، لا بإجبارها على العمل، ولا بخوضها ميادين لا تتلاءم مع طبيعتها، ولا في أعمال تلهيها عن واجبها الأول ألا وهو تنشئة الأجيال.

وأفتح المجال للأسئلة فهل من سؤال ؟

أرى أن هناك أياد كثيرة ترتفع، فلنبدأ بسم الله.

س1: ذكرت أن الإسلام قد أمر الوالد في استشارة ابنته، فما مدى حرية البنت في اختيار زوجها ؟

ج1: هناك أنواع عديدة من طرق الزواج..فهناك من يزوج ابنته دون علمها أو مع كراهيتها وهذا غير منطقي، كما أنه ليس من المنطقي أن تدخل ابنتك إلى البيت وفي ذراعها يد رجل لا تعرفه وإذا بها تقول لك ...يا بابا أعرفك على خطيبي فلان .

فالإسلام لا هذا ولا ذاك...

لكن من المعقول والممكن أن يأتي الخاطب إلى بيت والد المخطوبة، فيعرض عليه الأمر فيبدأ بالاستخارة والاستشارة؛ لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم)((ما خاب من استخار وما ندم من استشار)) (الطبراني في الصغير ج2 ص78).

فإذا رأى الوالد أن من المصلحة التزويج شاور ابنته وأمرها بالاستخارة ثم يكون النظر...ثم عقد الزواج...وألف مبروك...وإلا فلا.

كما أن الوالد إذا كان يتصرف بمنطق المادة بحيث يرفض أي خاطب، لكونه يريد أن يأخذ معاش ابنته كل شهر؛ فهذه البنت بإمكانها أن تذهب إلى القاضي، وهنا يسأله القاضي لماذا يعترض على هذا الخاطب، فإن كان له وجهة نظر معقولة قبلها؛ ككون الخاطب سكيراً أو مبذراً..الخ، فإن لم تكن له وجهة نظر معقولة فان القاضي يتولى إجراء العقد بنفسه إن رفض الوالد ذلك..

س2: هل الإسلام حارب تعليم المرأة ؟! إنني سمعت بعض الخطباء يقول حرام عليكم أن تبعثوا ببناتكم إلى هذه المدارس الكافرة.

ج2: الإسلام لم يحارب التعليم لا للرجال ولا للنساء ولا للأطفال، فأول كلمة نزلت في القرآن هي (اقرأ) وأن طلب العلم فريضة على الرجل والمرأة على حد سواء ((طلب العلم فريضة على كل مسلم))(ابن ماجه/كتاب المقدمة/ج224)- والمعنى يعم الذكر والأنثى كما تقول في اللغة العربية رجل جريح، وليس من الأفصح أن تقول امرأة جريحة.

أما الخطيب الذي خطب فمن المستبعد أن يكون جاهلاً بأحكام الدين، ولكن قد يكون يعني مدرسة للمبشرين مثلاً، حيث يدسون السم مع الدسم، لقد سمعت أنا مثل هذا الكلام وأنا طفل صغير، وكانت المدارس لا تقبل إلا التلميذة الكاشفة عن رأسها وعن ساقيها؛ فكانّ الخطيب – رحمه الله – يحذر لا من نفس التعليم، ولكن من ظروف التعليم المحيطة به، ولكن الحمد لله الآن أصبح التعليم يتحسن في كثير من الوجوه، ونسأل الله تعالى أن يزيدنا آمناً وإيماناً.

أما بالنسبة للمرأة المسلمة في الماضي، فلقد عرف التاريخ نماذج لعالمات فاضلات أولهن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي عدها العلماء أحد السبعة الأعلام في المدينة المنورة. لكن العلم كان مع الاحتشام والالتزام بتعاليم الإسلام.

أيها الأخوة....

انه من دواعي أسفي أن تنشر في بلادنا المساجد لتعليم الرجال في خطبة الجمعة، ولكنه لا يوجد مكان للمرآة تصلي فيه، وتسمع فيه الموعظة. فلا نحن درسناها العلم كما درسها أهل الغرب، ولا نحن فهمناها الإسلام كما يريد الله...

فوا حسرتا على أمه تجهِّل بناتها ثم تطلب منهن أن يكن صالحات ومثاليات ومربيات أجيال..، فأين ستعرف هذه المرأة حق الله، وحق الزوج، وحق البيت، وحق الطفل..وأين ستتعلم كيفية الصلاة وأركان الإسلام. و لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

س3: هل اللباس القصير تختص به ديانة دون ديانة ؟؟

ج3: أولاً ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾(آل عمران:19) ثم أن الأصل في العالم كله هو الاحتشام في اللباس والكلام والتصرف، فلو سألت عن لباس الراهبة النصرانية لوجدته لباساً محتشماً، ولو سألت عن لباس الراهبة اليهودية لوجدته لباساً محتشماً، والمرأة الهندية قد ضربت أروع الأمثلة في المحافظة على لباسها المحتشم أينما ذهبت وحيثما وجدت؛ بحيث نالت إعجاب العالم واحترامه.

لكن الذي حدث في الغرب هو أن المرأة قد خرجت من بيتها في القرية إلى العمل في المدينة، و أحاطتها ظروف جعلتها تتبع اللباس القصير:

أولاً: إنها فقدت أباها الذي تستحي منه وأخاها الذي تخاف منه.

ثانياً: إن سلطان الكنيسة قد سقط أمام الثورات والاكتشافات العلمية التي كشفت للعالم عن ظلم رجال الكنيسة وعن جهلهم في العلم والدين، وبما أن الخلق والدين توأمان لا ينفصلان ؛ فإن سقوط أحدهما يعني خلخلة الثاني إلى حد بعيد.

ثالثاً: أن الجهلة الجدد (ماركس) و (فرويد) و (داروين) قاموا ينادون باسم العلم والحرية بالإباحية والانفلات من الضوابط والقيود، وأصبحت كتبهم تدرس في المدارس والجامعات. وللتوسع في ذلك أقرأ كتاب (معركة التقاليد) وكتاب (الإنسان بين المادية والإسلام) وكتاب (اليهود الثلاثة: ماركس و فرويد وداروين) وغيرهما.

رابعاً: نتيجة لدعاوي المساواة ولقلة الرجال ولعدم وجود تعدد الزوجات ونتيجة لكل ذلك صارت النساء يتسابقن على الرجال.

خامساً: قام مصممو الأزياء باستغلال الفرصة وذلك بتصميم أزياء تظهر مفاتن المرأة؛ ولو كان على حساب حيائها وعفتها.

سادساً: عدم وجود التربية الدينية للمرأة والمقاومة الداخلية، ولكون الأمر أصبح (موضة) ولوسوسة الشيطان أصبحت المرأة هكذا تسير في الشارع بمنظر يستحي من برأسه ذرة عقل أن يلبسه..، ولكني أتذكر أن الشيطان قد ضحك على العرب في الجزيرة العربية عندما قال لهم الشيطان: إذا أردتم أن تطوفوا بالكعبة فاخلعوا ملابسكم لأنها ملابس عصيتم الله فيها، فكان بعضهم يطوف بالبيت عرياناً.

س4: هل نستفيد من محاضرتك أن عمل المرأة حرام؟.

ج4: لا يا أخي الكريم عمل المرأة ليس محرماً، فمن يداوي نساءنا؟ ومن يعلم بناتنا؟ ولكن كل شيء يجب أن يكون على أصوله،انظر إلى بنات سيدنا شعيب عليه السلام:

﴿قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾-القصص/23- إنهما تعملان في رعي الأغنام ولكن بشرطين أولهما: الضرورة، وثانيهما: عدم الاختلاط.

ويا أخي الكريم هناك فرق بين أن أقول: إن المرأة يجب وجوباً أن تعمل، حتى تستحق أن تكون عضواً صالحاً في المجتمع -كما يقول الذين يدعون أنهم أنصار المرأة، وبين أن أقول: إن الإسلام جعل الرجل مكلفاً بالإنفاق على المرأة فإن كانت هناك ظروف أخرى جاز لها - جوازاً - أن تعمل.

ونقطة أخرى: هو أنه ليس من الضروري أن تعمل المرأة جنباً إلى جنب مع الرجال، فلو كان هناك مستشفى للرجال كل العاملين فيه رجال ومستشفى للنساء كل العاملين فيه نساء، وجامعة للرجال وأخرى للنساء، وخاصة في المدن الكبيرة التي تحتوي على عدة جامعات ومستشفيات.

وأمر آخر هو أنه ليس من الضروري أن تخرج المرأة من المنزل لتعمل، فهاهي السيدة اليابانية مثلاً تذهب إلى مصنع المسجلات فتأخذ كمية معينة من القطع وترجع إلى بيتها، وفي زاوية من البيت تقوم بتجميع القطع كاملة، حتى إذا انتهى العمل ذهبت إلى المصنع فسلمتهم المسجلات جاهزة وحاسبتهم على الأجرة وأخذت قطعاً جديدة. وبهذه الطريقة الجيدة لم تترك اليابانية بيتها ولا عملها.

ثم ألم تكن المرأة في بلادنا تذهب في الحقل مع زوجها وأولادها فتعمل وتختلط بزوجها لا بزوج غيرها ؟؟..اللهم نعم-

إذا فالمشكلة ليست في عمل المرأة الذي يناسب طبيعتها، ولا يؤثر على تربية أطفالها، ولكن المشكلة تكمن في أن تقول:

بأن المساواة لا تكون إلا بترك المرأة لأطفالها، وبشرط الاختلاط مع الرجال الأجانب، وبشرط لبسها التابع للموضة طال اللباس أم قصر توسع عليها أم ضاق.

والمشكلة أيضا: أن نجبر المرأة على العمل ثم نقول لها: نحن من أنصارك الذين يساعدونك ضد الإسلام الذي لم يجبرك على العمل، بل أجبر الرجال على الإنفاق عليك والذي هو "الحول" الذي تحدثنا عنه في بداية المحاضرة.

س5: لماذا جعل الإسلام ميراث المرأة قدر نصف ميراث الرجل ؟

ج5: في المقدمة اذكر أن الكمبيوتر سُئل السؤال التالي: كان على شجرة عشرة عصافير، فضرب الصياد طلقة فأصاب عصفورين فكم بقي على الشجرة؟.

أجاب الكمبيوتر :بقي على الشجرة 8 عصافير، وكرر السؤال على الكمبيوتر عشر مرات والجواب بقي على الشجرة 8 عصافير.

ولنسأل أنفسنا هل إذا سمعت العصافير صوت الرصاص، فهل سيبقى على الشجرة منها أحد؟ !...وجواب الإنسان العاقل لا، لأن العصافير طارت ولكن الكمبيوتر يصر على أن العصافير الثمانية لا تزال على الشجرة.

وملاحظة أخرى: هي أن الله تعالى يقول﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾(النحل:90)، ولكن الله تعالى لم يقل أن الله يأمر بالمساواة ؟ وذلك أن المساواة معناها أن اشتري لأولادي الثمانية مثلاً قمصاناً وأحذية وكلها بنمرة 30 وذلك تحقيقاً للمساواة.

فالطفل على حضن أمه أعطيه حذاء وقميصاً بنفس النمرة التي أعطيها للولد الكبير، لماذا ؟ لأجل لمساواة ....

إذا فالمساواة في بعض الأحيان تكون ظالمة، لكن العدالة لا يمكن أن يكون فيها ظلم؛ ولذلك فان القرآن العظيم قد عبر بالعدالة ولم يعبر بالمساواة.

و لو كان عندي ولدان الأول يدرس في جامعة بعيدة والآخر يدرس الابتدائي بجانب البيت، فإنني أعطى الولد الكبير ديناراً مثلاً، و أعطى الولد الصغير درهماً، وأنه ليس من المنطق إطلاقا أن يقول الولد الصغير: يا أبي أعطني مثل أخي الكبير لأنني سأقول له:

يا ولدي إن أخاك الكبير يدفع أجرة الذهاب نصف دينار، و أجرة الإياب نصف دينار ويبقى دون مصروف. أما أنت فانك لا تدفع أجرة أبداً.

فإذا فهم الولد الصغير هذا المعنى فلا بد انه سيعطي الدرهم لأخيه الكبير لأنه يجوع مع طول المسافة، أما هو فيقولك أن بيتي قريب ولا احتاج إلى مصروف.

ونرجع إلى سؤالنا لنجيب عليه فنقول: لو كان هناك أخاً و أختاً ورثا من والدهما ثلاثة آلاف دينار، فالإسلام يعطي الذكر ألفان ويعطي الأنثى ألف واحدة. وبعد عدة أيام يأتي من يخطب البنت ويدفع لها مهراً فوق الألفين فإذا بالبنت يصبح معها ثلاثة آلاف...وبعد أيام يشعر الولد بالوحدة، فيذهب ليخطب له زوجة فيدفع لها الآلفين. علماً بأن خطيبته هي أنثى والمحصلة تكون:

أن البنت أصبحت لها ثلاثة آلاف، و أخوها أصبح وكأنه لم يأخذ شيئاً.....فهل يا ترى أن الإسلام قد ظلم المرأة كما يدعي الكاذبون

.....اللهم لا. ([4])

ويجب أن نلاحظ أن المرأة في الجزيرة العربية لم تكن ترث إطلاقا. ولم يفكر أحد في توريثها. ولكن الإسلام هو الذي فرض لها، وأعطاها كل الحقوق التي ذكرناها دون خروج مظاهرة واحدة. على عكس ما وقع من تضحيات في الغرب لنيل المساواة التي ادعوا بأنها نالتها.

س6: لماذا جعل الإسلام شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل ؟

ج6: الله عز وجل هو الذي خلق الخلق، وهو الأعلم بمن يصلح للشهادة، ومن لا يصلح..لكننا سنحاول استجلاء الحكمة في هذا الموضوع، وأضرب الأمثلة لذلك:

لو دخل إلى دارك ضيوف، وكان أحدهم نجاراً، والآخر حداداً، والثالث مهندساً معمارياً، والرابع حلاقاً، فهل يا ترى سيكون نظرتهم إلى البيت وما فيه نظرة واحدة ؟! اللهم لا.

فأنت ترى النجار ينظر إلى خشب الباب ونوعه ومتانته وصنفه، والحداد ينظر إلى الشباك وقوة شبك الحماية وطريقة تثبيته، والمهندس يلتفت إلى الأعمدة والجسور، ولكن الحلاق لا يسأل إلا عن رقبتك: هل تستحق الحلاقة أم التنعيم؟ وسبحان من أودع في كل قلب ما أشغله.

ويقال بان التلفون إذا ضرب في الليل، فان الرجل هو الذي يستيقظ ليرد على الهاتف، بينما إذا بكى الطفل، فان ألام هي التي تستيقظ لترضع الطفل، بينما الرجل يكون نائماً وكأن شيئاً لم يكن، هذا فيما أظنه هو الغالب إلا إذا انقلبت الأمور...!!

وكذلك فان الذي يتعامل بالنقود بصورة أكثر، وبتحمس أكبر هو الرجل... ولذا كانت شهادة الأموال برجلين﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ و العلة كما ذكر الله تعالى هي ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾(سورة البقرة: من الآية282) ، والضلال هنا بمعنى النسيان أو عدم الدقة كما فسره العلماء....

وأذكر أن أحد الناس قد ناقشني في هذا الموضوع و أطال النقاش وقال بان المرأة لا يمكن أن تنسى. فقلت له يا هذا: أن المرأة لا تنسى أي شيء يهمها؛ كأن يكون زوجها يريد أن يتزوج عليها مثلاً، كما لا يمكن أن تنسى زمان ولادة ابنها، ولا يمكن أن تنسى أن ابنها هو اكبر من ابن جارتها بشهرين مثلاً ...الخ...،

[4]) راجع إن شئت كتابي خمس موبقات في علم الاقتصاد /فصل الميراث تشريع إلهي لا يخلو من إعجاز.

ولكن هذا ا لأنسان لم يقتنع، فقلت له أخيراً: لولا أن المرأة تنسى لما عادت إلى زوجها أبداً بسبب ما تعانيه من آلام ومعاناة المخاض ولكنها تنسى فتعود..!

وأمر آخر هو أن المرأة قد يضغط عليها زوجها، أو أحد أقاربها ظلماً وعدواناً فيجبرها على الشهادة، فلو جازت شهادتها في رقاب الناس بدل أموالهم لحصلت هنالك افتراءات كثيرة وكبيرة، كما أن الإسلام لم يسمح للمرأة أن تشهد على الزنا، وذلك لأن الغيرة قد تؤدي بها إلى الشهادة الظالمة عدا أن الإسلام يحب الستر..

كما أن الإسلام لا يقبل شهادتها في القتل؛ لأن غالب النساء لا يمكن أن تفتح عينيها حتى تكتمل الجريمة.

أما إذا كان الأمر يتعلق بما يخص النساء، فان الحكم يختلف؛ فلو مات رجل وكانت امرأته حاملاً، وكان للمتوفى أخ، فإذا نزل الولد من بطن أمه حياً، فإن الأخ يحرم من الميراث، وان ولد ميتاً فان الأخ يرث، في هذه الحالة فان شهادة المرأة مقدمة على شهادة الرجل، ذلك لأن الأمر يختص بالنساء؛ وهكذا كل أمر لا يطلع عليه إلا النساء....إذاً فالمسألة ليست مسألة تحيز وإنما هي مسألة اختصاص.

س7: هل المرأة أفضل أم الرجل ؟

ج7: سبحان الله ...نحن مسلمون..وشعار الإسلام ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:13) الرجل أفضل للقوامة .....والمرأة أفضل للحنان ...الرجل أفضل للعمل والمرأة أفضل للرعاية ...الرجل أفضل للجهاد، والمرأة أفضل لرعاية العهد وتنشئة المجاهدين.

يجب ونحن ندرس مشكلة: أن لا يجرنا الجاهلون إلى تخبطات، فهناك مجلات وجرائد وبرامج تلفزيونية وإذاعية، بل و أوراق مفكرات وكتب تحاول أن تجعل من الذكر والأنثى عدوين لدودين ليس لهما إلا اقتناص أخطاء بعضها البعض، ولكن الإسلام يقول ﴿ بعضكم من بعض ﴾ –آل عمران/195–

والحق هو دائماً مع الإسلام فمن هي المرأة ؟ أليست هي أمي وأختي وكذلك هي ابنتي وخالتي وعمتي فلماذا هذه النظرة الضيقة.

وطبعاً أنا لا أقصدك يا أخي بهذا الكلام؛ لأنه ليست من عندك. ولكنه من بعض الناس الذين يقتنصون النصوص ليضعوها في غير موضعها..نقول لهم: ألم يكن فرعون رجلاً وهو في النار ولكن زوجته آسية في الجنة ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ

رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ التحريم/11.

من هو المشرع:

ويا أخوتي الكرام إن هناك مقننين ومشرعين....فإن كانوا أغنياء شرعوا لما يفيد الأغنياء؛ وان كانوا فقراء شرعوا لما يفيد الفقراء ...وان كانوا رجالاً تجاهلوا حق المرأة ...وان كن نساء تناسين حق الرجال، ولكن الإسلام والحمد لله هو شرع الواحد الأحد خالق الكون؛ لا يحابي أحدا على حساب أحد ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾الإسراء/111–فشرع الله فيه الخير كل الخير ...

سبحانه الذي يعلم منحنيات النفس واختلاجات التفكير ويعلم السر وأخفى...فهو الذي خلق، وهو الذي له فقط أن يشرع لنا ما يصلحنا.. (أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك:14)

والعجب كل العجب أن يكون الخالق لكل شيء هو الله تعالى وحده ثم يأتي من يقول: بأنه يملك حق التشريع. والرازق هو الله ويأتي غيره ويطالب بالطاعة. والكريم هو الله سبحانه ويسدى الشكر لغيره. فأي ظلم فوق هذا الظلم.

س8: الإسلام حث على الزواج، وسمح بالتعدد ولكنه وضع المهر بينما هناك أديان لا تضع مهراً، فلماذا كان المهر في الإسلام ؟؟

ج 8: المهر في الإسلام وسيلة وليست غاية بحد ذاته ...فمدارس تحفيظ القرآن مثلاً هي وسيلة لإتقان تلاوة القرآن، وليس غايتها فتح مكاتب وإنشاء مدارس، فلو أصبح بعض الناس وقد حفظ القرآن عن ظهر قلب مجوّداً، فإننا لا نطلب إليه أن يذهب إلى مدارس تحفيظ القرآن أبداً.. لأن المطلوب قد حصل..،ولكننا نطلب إلى الناس أن يذهبوا إلى هذه المدارس؛ لأن أغلب الناس لا يمكن أن يتقن حفظ القرآن إلا عن هذه الطريق.

وكذلك فالمهر في الإسلام وسيلة لا غاية...والغاية هي حفظ حقوق المرأة، وحفظ حقوق أطفالها، فالغاية من المهر إذا هو صيانة حقوق المرأة.

فحين يتقدم الخاطب ليقول للمرأة أنني أحبك واطلب يدك...تقول له المرأة بلسان الحال: وما دليلك على أنك ستستمر في عطفك عليَّ ورعايتك لأطفالي واستمرارك في رجوعك إلى عشنا الجميل ؟

فيكون الجواب بالعمل لا بالقول ويكون الجواب بدفع المهر: هاهو يا عزيزتي كل ما أملك من نقود جمعتها من تعب يميني وعرق جبيني أقدمه لك بل وسأستدين حتى أبرهن لك....

ومعلوم أن المال هو شقيق الروح بل أن الله تعالى قد قدمه على الروح في عدة مناسبات ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾–التوبة/41–بحيث تطمئن المرأة بهذا التقديم أن الزوج مستعد لتقديم روحه دفاعاً عن عرضه إذا ما تعرض للخطر...[ومن قتل دون أهله فهو شهيد] –(الترمذي/1421)، ومن ثم سمي المهر صداقاً أي دليل صدق الرجل في حبه للمرأة.

ولذلك فإني سأروي لك حادثة تدلك بكل وضوح على أن المهر في الإسلام ليس هدفاً بحد ذاته، ولكن الإسلام إذا عرف من الرجل صدقه في طلب يد المرأة، فانه سيزوجها له بدون مهر مادي...ففي صحيح البخاري ج: 4 ص: 1920

عن سهل بن سعد أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوبه ثم طأطأ رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست، فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال:هل عندك من شيء؟ فقال: لا والله يا رسول الله، قال: اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئا، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئا قالﷺ: انظر ولو خاتما من حديد، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن هذا إزاري –قال سهل ما له رداء– فلها نصفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك شيء، فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا. فأمر به فدعي فلما جاء قالﷺ: ماذا معك من القرآن؟ قال: معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا عدها قال أتقرؤهن عن ظهر قلبك قال: نعم قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن.

أ رأيت أيها الأخ الكريم: أن المهر في الإسلام هو وسيلة لا غاية بحد ذاته. وهل لاحظت معي أنهم كانوا لا يملكون المال، ولكنهم كانوا حريصين على حفظ، وفهم القرآن والعمل به؛ لذلك فقد رفعهم الله تعالى ودانت لهم الدنيا.

س9: نشاهد أن هناك نساءً تولين مقاليد أمور جسام في بلدهن وكن الفائزات على منافسهن من الرجال، فكيف تعللون ذلك ؟؟

ج9: نحن لا نقول إن المرأة لا تستطيع أن تكون رئيسة دولة أو وزيرة؛ كما أننا لا نقول أنها لا يمكن أن تعمل عتالاً أو حمالاً حتى لأكياس الإسمنت، أو حتى رافعة أثقال أو حتى مصارعة أو ملاكمة، ولكننا نقول أنها مخلوقة لغير هذا..

فالتراكتور مثلاً مصمم للحراثة، لكن أستطيع أن اجعله سيارة خصوصية تنقلني إلى مكتبي، وأستطيع أن أركب عليه رفوفاً خشبية وأجلس عليه أولادي، وأذهب بهم رحلة شيقة (أو شقية) وليهتز ما شاء له أن يهتز؛ ولكن يبقى الأمر أنه مصمم لغير ذلك.

كما أن وجود امرأة في سدة الحكم لا يعتبر تقدماً ولا هو فقط من خصائص القرن العشرين، فانظر إلى بلقيس ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل:23) ولكنها ما لبثت أن استسلمت أمام الرجل الهمام رسول الله سليمان عليه السلام ...

وكان كل من حولها يدينون لها بالولاء والطاعة ويحرضوها على القتال ولكنها استسلمت، ولم تكن لها روح المقاومة، ولم تحاول أن تخوض حرباً واحدة ثم تستسلم. ولعلك إذا أمعنت النظر في تلك القصة وجدتها مليئة بالعبر والمواعظ.

والمرأة في سدة الحكم لا تعمل بمفردها، ولكنها تعمل باستشارات من حولها، واغلب من حولها هم رجال...ولو قدر لك الوصول إلى تلك المناطق لعرفت كيف تسير الأمور وكيف تمرر المعلومات وكيف...وكيف..

أما عمر رضي الله عنه فقد كان حاكماً يسير بين الشعب فلا تخفي عليه خافية. نعود لنقول: أن امرأة قد تقرر الحرب، لكن من الذي يخوض غمارها ومن يضع خططها ويديرها.

والمرأة قد تنتصر في الحرب لكن على من هل تنتصر على الرجال أم على الذكور..ولعلك تستغرب فما هو الفرق بين الذكور والرجال..؟

الذكر قد يكون مجنوناً فلا تكون له القوامة.لكن في معرض المدح يقول الله تعالى ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾النور/37–وتقول ذكور النحل ولا تقول رجال النحل ... لأن ذكور النحل موجودة للتلقيح فقط.

ولنعد إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم ((ما ولى قوم أمرهم امرأة إلا ذلوا))–(البخاري/ الفتن/2262)– فهل الذل يكون بمعركة واحدة..أم هل تظهر النتائج خلال يوم وليلة ...

لا إنها حركة لا يستطيع رصدها الرجل العادي، ولكن الذي يرصدها هو حركة التاريخ وعبر الأيام.. فهل لك أن تقرأ تاريخ بريطانيا؟ إنها كانت تسمى بريطانيا العظمى ...ثم بعد

ذلك أصبحت خامس خمسة من دول كبرى..ثم هي الأن دولة كباقي الدول وأصبحت أمريكا وروسيا هي الدولتين الأعظم، والله أعلم ما يخبئ التاريخ لنا من مفاجآت ....

إن حركة الدول بالنسبة للتاريخ كعربة في آخر القطار انفصلت عنه، إنها تسير بسرعة عالية، ولكنها متناقصة باستمرار، وبعد مسافة يظهر الفرق بين القطار المتحرك بقوته الذاتية، وبين العربة التي أصبحت تسير بما بقي لديها من تسارع يوشك على الانتهاء.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِيـنَ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ